قوله عزّوجلّ: ﴿أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠٠]

٣٠٣. قال الإمامعليه السلام: قال الباقر عليه السلام: قال اللّه عزّوجلّ وهو يوبّخ هؤلاء اليهود، الّذين تقدّم ذكر عنادهم، وهؤلاء النصّاب الّذين نكثوا ما أُخذ من العهد عليهم ـ فقال: ﴿أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا﴾ واثقوا وعاقدوا ليكونوا لمحمّد طائعين، ولعليّ بعده مؤتمرين، وإلى أمره صابرين[١] ﴿نَبَذَهُ ـ نبذ العهد ـ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ وخالفه، قال اللّه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ ـ أكثر هؤلاء اليهود والنواصب ـ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي في مستقبل أعمارهم لا يرعون[٢] ولا يتوبون[٣] مع مشاهدتهم للآيات، ومعاينتهم للدلالات.[٤]

٣٠٤. قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: اتّقوا اللّه عباد اللّه، واثبتوا على ما أمركم به رسول اللّه صلى الله عليه وآله من توحيد اللّه، ومن الإيمان بنبوّة محمّد رسول اللّه، ومن الإعتقاد بولاية عليّ وليّ اللّه، ولا يغرّنّكم صلاتكم وصيامكم وعبادتكم السالفة،

إنّها لا تنفعكم إن خالفتم العهد والميثاق، فمن وفى وفي له وتفضّل [بالجلال و] بالإفضال عليه، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، واللّه وليّ الإنتقام منه، وإنّما الأعمال بخواتيمها.

[قصّة ليلة المبيت]

هذه وصيّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله لكلّ أصحابه، وبها أوصى حين صار إلى الغار، فإنّ اللّه تعالى قد أوحى إليه: يا محمّد، إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إنّ أبا جهل والملأ من قريش قد دبّروا يريدون قتلك، وآمرك أن تُبيت عليّاً في موضعك، وقال لك: إنّ منزلته منزلة إسماعيل[٥] الذبيح من إبراهيم الخليل، يجعل نفسه لنفسك فداءً، وروحه لروحك وقاءً،

---

(١) «صائرين» خ.

(٢) «يرغبون» خ (٣) «يتولّون» أ.

(٤) عنه البحار: ٩/ ٣٢٩ ضمن ح١٦، والبرهان: ١/ ٢٩١ ح١.

(٥) «إسحاق» خ، مصحّف.

almawaddah.be

وآمرك [١] أن تستصحب أبا بكر، فإنّه إن [٢] آنسك وساعدك ووازرك وثبت على ما يعاهدك ويعاقدك، كان في الجنّة من رفقائك، وفي غرفاتها من خلصائك.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أرضيت أن أُطلب فلا أُوجَد وتوجد، فلعلّه أن يبادر إليك الجهّال فيقتلوك؟ قال: بلى يا رسول اللّه رضيت أن تكون روحي لروحك وقاءً، ونفسي لنفسك فداءً، بل قد رضيت أن تكون روحي ونفسي فداءً لأخ لك، أو قريب، أو لبعض الحيوانات تمتهنها [٣]

---

(١) لم نعثر في غير هذا الكتاب على ذكر الوحي، والأمر بهذا الإستصحاب، ولا غرابة في هذا بعد أن كان للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يخفيه ولا يصاحبه، فلعلّه استصحبه ليكون شاهداً لآيات اللّه عزّوجلّ في جعله تعالى كلمة الّذين كفروا السفلى، وكلمة اللّه هي العليا، وإنزاله السكينة على النبيّ صلى الله عليه وآله وحده، وتأييده بالجنود... كما أنّه لافضل في التسمية «بالصحبة» لأنّها قد تحصل من الولي والعدوّ، والمؤمن والكافر، قال تعالى مخبراً عن مؤمن وكافر اصطحبا: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالّذي خلقك ...﴾ الكهف: ٣٧. وقال تعالى في قصّة يوسف عليه السلام: ﴿يا صاحبي السجن﴾ يوسف: ٤١. وقال تعالى: ﴿ماضلّ صاحبكم وماغوى﴾ النجم: ٢. بل الأظهر أنّها لمطلق التسمية، كما أنّ موسى عليه السلام ترك هارون ولم يستصحبه في ميقات ربّه ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرجفة قال ... أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا ...﴾ الأعراف: ١٥٥، فما كان استصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله تفضيلاً له على من تركه في فراشه، زد على ذلك النهي الموجّه من الرسول صلى الله عليه وآله الى صاحبه بقوله: ﴿لا تحزن﴾ بل لا دليل على أنّه سكن قلبه، أو أنزل اللّه السكينة عليه، كما منّ على النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك مع أنّه كان ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ اللّه معنا فأنزل اللّه سكينته عليه﴾ التوبة: ٤٠. فأخبر أنّه أنزل السكينة عليه، ولم يذكر وعلى صاحبه، كما أخبر في موطن آخر أنّه أنزل السكينة على الرسول وعلى المؤمنين، حيث قال تعالى ﴿... ثم أنزل اللّه سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ التوبة ٢٦.

وقال تعالى: ﴿إنّ اللّه معنا﴾ أي عالم ومطّلع على حالنا، وحافظ ... فلاحظ.

(٢) تدبّر في معنى «إن» الشرطيّة وجوابها بـ «كان» وكان في الشرط وتعليق الجزاء عليه، لطف وتنبيه، أما ترى قوله تعالى ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾ الزمر: ١٦٥ خطاباً للرسول الأعظم، أفضل الخلق، وخير البشر. فتدبّر.

(٣) من المهانة: الحقارة والصغر. ولا عجب من خير البشر عليّ بن أبي طالب عليه السلام يؤثر رضا حبيب اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله ويسلّم له نفسه فداء فيما يرضاه، لاملقاً ولا تزلّفاً ولا رياء فاطلق شعاره تعبيراً عن حبّه فقال: «وهل أحبّ الحياة إلاّ لخدمتك، و ... ولولا ذلك لما أحببت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة» فلا همّ له عليه السلام غير رضاه وفي أيّ شاء، ولا يريد أن يفدي نفسه في الأخس وإن لم يشأ ولن يشاء. وقد آثرنا من رجال الدين والعلم يقولون تحبّة لإمامنا الغائب «عج»: أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

almawaddah.be

وهل أُحبّ الحياة إلاّ لخدمتك[١] والتصرّف بين أمرك ونهيك ولمحبّة أوليائك، ونصرة أصفيائك، ومجاهدة أعدائك؟ لولا ذلك لما أحببت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة.

فأقبل رسول اللّه ﷺ على عليّ عليه السلام وقال له: يا أبا حسن!

قد قرأ عليّ كلامك هذا الموكّلون باللّوح المحفوظ، وقرأوا عليّ ما أعدّ اللّه [به] لك من ثوابه في دار القرار مالم يسمع بمثله السامعون، ولا رأى مثله الراءون، ولا خطر مثله ببال المتفكّرين.

ثمّ قال رسول اللّه ﷺ لأبي بكر: أرضيت أن تكون معي يا أبا بكر تطلب كما أطلب، وتعرف بأنّك أنت الّذي تحملني على ما أدّعيه، فتحمل عنّي أنواع العذاب؟

قال أبوبكر: يا رسول اللّه، أمّا أنا لو عشت عمر الدنيا أُعذّب في جميعها أشدّ عذاب لا ينزل عليّ موت مريح، ولا فرج متيح[٢] وكان في ذلك محبّتك، لكان ذلك أحبّ إليّ من أن أتنعّم فيها وأنا مالك لجميع ممالك[٣] ملوكها في مخالفتك، وهل أنا[٤] ومالي وولدي إلاّ فداؤك؟

فقال رسول اللّه ﷺ: لا جرم إن اطّلع اللّه على قلبك ووجد ما فيه موافقاً لما جرى على لسانك، جعلك منّي بمنزلة السمع والبصر، والرأس من الجسد، وبمنزلة الروح من البدن، كعليّ الّذي هو منّي كذلك، وعليّ فوق ذلك لزيادة فضائله وشريف خصاله. يا أبا بكر، إنّ من عاهد اللّه ثمّ لم ينكث، ولم يغيّر، ولم يبدّل، ولم يحسد من قد أبانه[٥] اللّه بالتفضيل فهو معنا في الرفيق الأعلى، وإذا أنت مضيت على طريقة يحبّها منك ربّك، ولم تتبعها بما يسخطه، ووافيته بها إذا بعثك بين يديه، كنت لولاية اللّه مستحقّاً، ولمرافقتنا في تلك الجنان مستوجباً، أُنظر أبا بكر فنظر في آفاق السماء، فرأى أملاكاً من نار على أفراس من نار، بأيديهم رماح من نار، كلّ ينادي: يا محمّد مرنا بأمرك في [أعدائك] ومخالفيك نطحطحهم.

---

(١) «بخدمتك» أ.
(٢) تاح له الشيء: تهيّأ.
(٣) «مماليك» أ.
(٤) «ما أهلي» ب، س، د.
(٥) «أثابه» خ ل.

almawaddah.be